محاضرة رقم ١٦	
الكلية	التربية للعلوم الانسانية
القسم	التاريخ
المادة	تاريخ العراق الحديث
المرحلة	الثالثة
السنة الدراسية	٢٠٢٣ -٢٠٢٤م
الفصل الدراسي	الثاني
المحاضر	م. د: عداي إبراهيم مجيد حوران
العنوان باللغة العربية	حركة التنظيمات والاصلاحات العثمانية و انعكاساتها على العراق
العنوان باللغة الإنكليزية	
المصادر والمراجع	ايناس سعدي عبد الله ، تاريخ العراق الحديث ١٢٥٨ -١٩١٤
	علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث
	جعفر عباس حميدي ، تأريخ العراق الحديث

المحاضرة السادسة عشر:

حركة التنظيمات والاصلاحات العثمانية و انعكاساتها على العراق

عهد التنظيمات: هو الاسم الذي اطلق على حركة الاصلاحات التي شهدتها الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد المجيد (**١٨٣٩ -١٨٦١**) وقد اقترن اسم التنظيمات بمرسومين سلطانيين اصلاحيين ، الاول: خط شريف كولخانه في عام ١٨٣٩ والثاني: خط شريف همايون ١٨٥٦ وقد صدر كلاهما في عهد السلطان عبد المجيد ، تلك التنظيمات التي شرعت الدولة العثمانية معظم قوانينها وانظمتها الداخلية بالاقتباس والاعتماد على النظم والقوانين الاوربية وهذا ما ادى الى ان تتحول الدولة العثمانية في نهاية عهد التنظيمات الى دولة حديثة اقتربت من الدولة العلمانية .

اما بالنسبة للعلاقة ما بين تلك التنظيمات والادارة العثمانية في العراق فكانت انعكاساتها واضحة على ولاية بغداد وذلك نظراً لما لهذه التشريعات والقوانين من اثر بالغ في سير الادارة الحكومية في الولاية واجهزتها وتشكيلاتها .

خط شريف كولخانة : هو اول مرسوم اصلاحي أو اول خطوة من خطوات الاصلاح العثماني في عهد التنظيمات ، صدر في ٣ تشرين الثاني ١٨٣٩ في عهد السلطان عبد المجيد وبحضور كبار رجال الدولة وعلماء الدين وسفراء الدول الاجنبية ورؤساء الاقليات الدينية في كولخانة (قصر الطوب) مقر السلطان العثماني ، اذ تضمن مرسوم شريف كولخانة مجموعة اصلاحات وقوانين مهمة :-

١_ الحفاظ على ارواح واعراض واموال المواطنين.

٢_ تنظيم القضاء والادارة والضرائب وقانون الخدمة العسكرية .

٣_المساواة بين المواطنين وعدم التفريق بينهم من حيث المعتقدات الدينية ،وتحسين مستويات الناس المعاشية .

تعليل مهم / وصف خط شريف كولخانة بأنه مرسوم تغريبي علماني ؟ وذلك لأن بموجبه تقرر معاملة المسلمين وغير المسلمين بمساواة تامة ، ثم ساعد فيما بعد على الأخذ والاقتباس من الانظمة والقوانين الاوربية ولا سيما الفرنسية منها .

خط شريف همايون : هو المرسوم الاصلاحي العثماني الثاني ، صدر في ٨ شباط ١٨٥٦ في عهد السلطان عبد المجيد وبحضور كبار رجال الدولة ورؤساء الطوائف الدينية في الدولة العثمانية ، وقد تضمن بنوداً اكدت على ما جاء به مرسوم شريف كولخانة ولاسيما مفهوم المساواة وعدم التمييز بين الموطنين بسبب الدين .

واخيراً يمكن القول ان حركة التنظيمات التي تمثلت بمرسومي شريف كولخانة وهمايون قد سارت عليها الدولة العثمانية حتى وصول السلطان عبد الحميد الثاني(١٨٧٦-١٩٠٩) الى حكم الدولة العثمانية ثم اعلانه للدستور سنة ١٨٧٦ .

_ ولاية مدحت باشا لبغداد (١٨٦٩ _ ١٨٧٢)

لم تظهر أثار حركة الإصلاح العثماني في العراق بشكل واضح إلا في عهد الوالي مدحت باشا الذي تولى حكم العراق (١٨٦٩_ ١٨٧٢) يعد مدحت باشا (١٨٢٢_ ١٨٨٣) بأنه من رواد الحركة الإصلاحية والدستورية في الإمبراطورية العثمانية وإليه يعزى صدور الدستور العثماني سنة ١٨٧٦ ، وقبل تعيينه والياً على بغداد في ٣٠/ نيسان / ١٨٦٩ كان والياً على ولاية الدانوب للمدة (١٨٦٠ _ ١٨٦٨) وأظهر قدرات إدارية ممتازة في المناصب التي تقلدها ، وجاء في الفرمان المتعلق بتعيينه بان بغداد هي أهم ولايات الإمبراطورية العثمانية وإن تربتها وموقعها يجعلانها تستحق كل انواع التقدم وعليه فأن أعز رغبة للسلطان ان يري الولاية بالتقدم والتطور وقد اعترف الفرمان أنه بدون وجود حاكم فإن التقدم المنشود لا يمكن تحقيقه، وأن مدحت باشا هو الشخص الذي سيحقق أهداف السلطان، لذلك منح مدحت باشا السلطتين المدنية والعسكرية في ولاية بغداد، كما زود بصلاحيات واسعة لتنفيذ اصلاحاته في ولايتي الموصل والبصرة ، وقد تجلت اجراءاته في ادخال الاصلاحات الإدارية والإقتصادية ولاسيما تطبيق قانوني

الاراضي والولايات كانت الغاية الرئيسية هو العمل على ربط الولايات العراقية الثلاث بعضها مع البعض الآخر وتقوية السلطة المركزية عليها ، وبذل مدحت باشا جهوداً كبرى في تحديث العراق وإصلاح أوضاعه مما شكل القاعدة التي تمت عليها منجزات وتغيرات أخرى كان لها نتائج بعيدة المدى في تطوير حياته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية وكان من أهم إصلاحات مدحت باشا هي :-

اولاً _ نظام الطابو وتوطين العشائر:

كانت باكورة أعماله إصدار نظام الطابو ميري (التسجيل العقاري) وغرضه تسجيل العقارات وإصدار الوثائق الخاصة بها من جهة وإيجاد حل لمشكلة العشائر وإنهاء حركات تمردها بتوطينها على الأرض من جهة الثانية وذلك بتوزيع الأراضي الأميرية قطعاً مختلفة وتوفير مياة للري لها وسندات الطابو لقاء دفع مبالغ بسيطة (المعجل) وتقسيط المتبقي ، وبذلك يمكن تحويل الولاء للعشيرة إلى الأرض ، وفي الوقت نفسه عمد إلى معالجة مشكلة ملكية الأرض لربطهم بها وتشجيعهم على الاستقرار والتحول إلى الزراعة، وبذلك حولت شيوخ العشائر إلى ملاكي كبار للاراضي الزراعية ترتبط مصالحهم بالحكومة ومن أبرز الأمثلة على ذلك شيوخ (المحيسن و عنزة و الديلم و شمر جربة وعشائرالجاف الكردية) ، كما شكلت لجنة لتسوية الأرض اقتصر عملها على منطقة الفرات الأوسط والبصرة وعلى الرغم مما اعتور المشروع من أخطاء نتيجة لقلة الإداريين النزيهين وانعدام الخرائط والفنيين ، فإنه كان أول خطوة جدية نحو إرساء القواعد تنظيم الملكية العقارية وتسجيلها في العراق .

ثانياً _ التنظيم الإداري للبلاد : استند مدحت إلى قانون الولايات العثماني الصادر عام ١٨٦٤ لتنظيم إدارة البلاد فعرف العراق لأول مرة في العصر الحديث تنظيماً محكماً ارتبطت بواسطته انحاء العراق كافة بمراكز إدارية رئيسية تدعى النواحي ، التي ترتبط بدورها بمراكز أعلى هي الاقضية ، التي ترتبط بالسناجق (الالوية) التي تشكل تنظيمات أوسع هي الولايات ، فأرسى بذلك دعائم الإدارة الحديثة الأولى في العراق، فإن الإجراءات الإدارية الجديدة كانت كفيلة بخلق إدارة مركزية منظمة يكون مركزها بغداد وتتولى الاشراف على شؤون القطر بأجمعه ، كما تقرر تشكيل مجالس محلية شبة منتخبة في كل وحدة إدارية و مجالس بلدية في كل مدينة فكان ذلك اول انشاء لنظام البلديات في تاريخ العراق الحديث ، وقد بقيت هذه المجالس تمارس اعمالها وخاصة مجلس ولاية بغداد حتى الاحتلال البريطاني وفيما بعد اصبح هذا المجلس نواة لما عرف بمجلس الوزراء العراقي .

ثالثاً _ الإصلاح والتنظيم العسكري للبلاد:

وجه مدحت باشا اهتمامه لإصلاح النظام العسكري ولاسيما أن بغداد كانت مقراً للفيلق الجيش العثماني السادس(التنجي اورد وهمايوني) واستهدف ادخال العراقيين بدلاً من العناصر الأجنبية لضمان ولاءالسكان للجيش المرابط على أراضيهم، وتعويضاً للنقص في عدد الجنود الأجانب الذين لا يمكثون إلا مدة قصيرة بعدها يسرعون بالعودة الى بلادهم ، ولهذا الغاية طبق مدحت باشا نظام التجنيد الإلزامي، وحالفه النجاح في عدد من المدن العراقية ولكنه واجه الإخفاق في

منطقة الفرات الأوسط بسب رفض العشائر له ،مما أدى إلى نشوب تمرد واسع عرف ب(واقعة الدغارة)التي استمرت قرابة شهرين وكانت حصيلة الاشتباكات المسلحة بين الجيش الحكومي ورجال العشائر الألف الضحايا قبل أن يقضي الجيش على حركة القبائل. كما تمكن مدحت باشا من سحق تمرد آخر قامت به عشيرة شمر الجربة واعدم شيخها عبد الكريم في الموصل ،وببعد نظر منه تم إقرار فرمان، أخي الشيخ المعدوم شيخاً للمشايخ، وقد تحالف هذا مع الحكومة وأصبح يتقاضى راتباً منها، وهكذا تأسس نظام التجنيد وفي خلال ثلاث سنوات تضاعف عدد أفراد الجيش وصار مؤلفاً من:(١٦ كتيبة مشاة و كتيبتين من الخيالة وكتيبة من المدفعية) يبلغ عدد افرادها نحو ١٢،٠٠٠ فرد، كما اسس مدحت باشا مدرستين عسكريتين الأولى مدرسة رشدية في بغداد وأخرى في كركوك ، وكانت طليعة المعاهد الحديثة في البلاد واتبع ذلك تأسيس إعدادية عسكرية تؤهل المتخرج منها للدراسة في الكلية العسكرية فى اسطنبول ، كما اولت الحكومه خدمات الجيش الأخرى عناية خاصة فتم إنشاء معمل للنسيج لانتاج البزات الرسمية للجند والخيام و وعدة معامل للطحين و لصناعة البارود ، كما ألغى تنظيمات(باشي بوزوق) واحل محلها الضبطية لحماية الأمن الداخلي و مع مرور الوقت حلت الشرطة والجندرمة محل الضبطية فاصبح جهاز الشرطة مسؤولا عن الأمن الداخلي وعهد الى الجندرمة (الدرك) حفظ الامن غي في خارج المدن والأرياف، كما وضع خطة عسكرية للدفاع عن العراق ضد تعديات والأخطار الإيرانية، ومن الاصلاحات مدحت باشا في المجال العسكري إنشاء دار الصناعة البحرية(الترسانة) .

رابعاً _ المواصلات :

اعاد مدحت باشا تشكيل الشركة الحكومية المسماة (الإدارة العثمانية النهرية) واصلح بواخرها القديمة وتم شراء بواخر الجديدة ذات حمولات كبيرة، إذ أصبحت عددها ثمان بواخر التابعة للإدارة العثمانية، كما تم انشاء خط (تراموای) بغداد _الكاظمية من شركة حكومية اهلية عام ١٨٧١، فكان ذلك عاملاً مهما في نمو التجارة الداخلية والخارجية للعراق.

خامساً _ النظام القضائي

تم الأخذ بمبدأ الفصل بين السلطات التنفيذية والقضائية وانشىء ديوان التمييز للنظر في الدعاوي القانونية المستأنفة.

سادساً _ التعليم والحركة الثقافية والعمرانية .

في عهد الوالي مدحت باشا ادخل التعليم الرسمي الحديث إلى العراق وأنشأت المدارس الحديثة : المدرسة الرشدية الملكية (المدنية) و مدرسة الصناعة بتخصصات متنوعة ومع ازياد عدد المدارس في السنوات اللاحقةحتى بلغت زهاء مائه مدرسة الإبتدائية والمتوسطة ارتفعت نسبة المتعلمين من السكان حتى أصبحت نسبتهم عام ١٩٠٠ تتراوح بين الخمسة والعشرة بالمائة، وقبيل الحرب العالمية الأولى (١٩١٤_ ١٩١٨) بلغ عدد المدارس في أنحاء العراق ١٦٠ مدرسة ابتدائية منها ١٣ مدرسة للبنات و١٢ مدرسة إعدادية وكما إنشاء غرفة تجارة بغداد في ٥/ نيسان

١٨٨٤ وفتح المصارف و نظام الجندية وإنشاء خطوط التلغراف بين الموصل وسنجارو العمادية وهنا نجد استمرار حركة الإصلاحات العثمانية بعد ولاية مدحت باشا للعراق

ومن بين أهم الامور التي اهتم بها مدحت باشا الطباعة و الصحافة فقد أسس مطبعة حكومية باسم (مطبعة الولاية) واصدر أول جريدة في العراق حملت اسم (الزوراء) في ١٥/ حزيران ١٨٦٩ تصدر مرتين في الاسبوع باللغتين العربية والتركية استطاعت خلالها أن تقدم خدمة جليلة للثقافة والمجتمع فكانت بحق مرآة للادب الثقافي والأدبي للبلاد.

سابعاً _ الحركة العمرانية

في عهد مدحت باشا تم بناء مدينتي الناصرية ١٨٧٠ و الرمادي ١٨٧٢ ومن اعماله بناء المستشفيات منها المستشفى العسكري فضلا عن ذلك شيد مدحت باشا دور حديثة للحكومة ومزرعة نموذجية وارسل المهندسين لتنظيم الري واظهر اهتماماً باصلاح نظم الضرائب الزراعية كما اسس مصفاة للنفط في بعقوبة ومعملا لإصلاح السفن في البصرة

هذه من الناحية الداخلية للاصلاحات مدحت باشا بالاضافة إلى التوسعات الخارجية اذ بدأ ولايته على العراق بالتوسع مجدداً في الخليج العربي وذلك للاسباب الاتية:-

١ _ الصراع على السلطة في نجد بين امراء ال سعود ابناء فيصل بن تركي وهما عبدالله وسعود ، واستنجد عبدالله بوالي بغداد لاعادتة الى العرش

٢_ عمل مدحت باشا منذ تولاية لبغداد على تبني فكرة التوسع في الأقطار الآسيوية لكي تعوض الدولة العثمانية ما خسرتة في البلقان ، لذا أخذ مدحت باشا على عاتقة مد السيطرة العثمانية على الخليج العربي لكل يحل النفوذ العثماني المباشر محل السعوديين في حكم الاحساء ونجد.

٣ _ تعد الدولة العثمانية نجد وملحقاتها كالحجازواليمن وعسير جزء منها

٤_ افتتاح قناة السويس ١٨٦٩ وربط البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر لذا أخذت الدولة العثمانية تعمل على مد نفوذها على كل من اليمن وعسير المطلة على البحر الأحمر لتربط نفسها بالتجارة العالمية.

لذا قام مدحت باشا عام ١٨٧٠ باحتلال الاحساء و احتل أيضا قطر عام ١٨٧١ وعين قاسم بن ثاني قائمقام عليها ، كما اتفق مدحت الباشا مع عبدالله شيخ الكويت على جعل الكويت قائمقامية عثمانية تابعة لولاية البصرة وقد وافق شيوخ الكويت على ذلك للأسباب الآتية:-

١_ أن شيوخ الكويت كانوا لا يرغبون في الانفصال عن الرابطة الإسلامية التي جسدتها الدولة العثمانية.

٢_ أن شيوخ الكويت كانوا يملكون الأراضي في البصرة وكان العثمانيون يهددون بقطع ايرادتها عندما تتعارض سياسة شيوخ الكويت مع سياستهم

٣_ أن الكويت تخشى معارضة الدولة العثمانية لأنها لم تكن آنذاك مرتبطة مع أي من الدول الكبرى بمعاهدة أخرى.

وبالرغم من ذلك ظلت الكويت تابعة للعثمانيين الى عام ١٨٩٩ عندما وقع الشيخ مبارك معاهدة حماية مع بريطانيا.

استقال مدحت باشا من منصبه احتجاجاً على قرار أصدره الصدر الاعظم محمود نديم باشا بخصم مبلغ كبير من مصروفات ولاية بغداد وتحويله الى العاصمة وقبلت استقالته وغادر بغداد في ٢٧/ مايس ١٨٧٢ استمرت ثلاث سنوات للعراق الا انها كانت من أهم مراحل العهد العثماني..